بلاغة الافتنان في القرآن الكريم

The Holy Quran Eloquence of Infatuation

د. علي شاحوذ رجب
إعدادية الوركاء للبنين

Dr. Ali Shahoth Rajab
Al-Warka Preparatory For Boys

Ebrahimali.com78@gmail.com

تاريخ الاستلام ٢٠٢٢/٨/٧
تاريخ القبول ٢٠٢٣/١/١٥

الكلمات المفتاحية: الافتنان، الانتقال، المعاني، البلاغة، الإعجاز

Keywords: Fascination, transition, meanings, rhetoric and miracles

الملخص

إن الحديث عن بلاغة الافتنان في القرآن الكريم هو في حقيقة الأمر حديث عن أحد أوجه النظم القرآني، إذ أن الصور الفنية في القرآن الكريم تتراوح بين صور بلاغية معروفة مثل التشبيه والاستعارة، وصور لغوية قائمة أساساً على ألفاظ اللغة وأساليبها، وهذا النظم نابع من صميم بلاغة الافتنان التي تتأسس على مبدأ الاختلاف داخل النص الواحد وأن آيات القرآن العظيم لا تكون مستمرةً على نمط واحد لما فيها من التكلف للمتلقي وتأسيساً على ذلك، تهدف هذه الدراسة إلى بناء تصور للافتنان بالبحث عن تجلياته في القرآن الكريم والذي اعتمد على الانتقال بين المعاني وتنويع الموضوعات، كالتهنئة والتعزية والجمع بين الأدب والهجاء.

Abstract

The discussion of infatuation's eloquence in the Holy Qur'an is actually a discussion of one of the Qur'anic system's aspects, as the artistic images in the Holy Qur'an range from well-known rhetorical images like simile and metaphor to linguistic images based primarily on words and methods of language. This choice is based on the fascinating rhetoric, which is founded on the principle of difference within the same text, and the fact that the verses of the Great Qur'an do not continue in one style due to the recipient's affectiveness. Changing meanings and topics, such as congratulations and condolences, as well as blending literature and satire, are all examples of this.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الأطهار وصحبه الأبرار.

أما بعد:

فقد وقف هذا البحث على بلاغة الافتتان في القرآن الكريم التي تجمع بين فنين مختلفين كالمدح والذم والتعزية والتهنئة، وتعتمد على النظم القرآني الذي يعكس وجوه البيان والمعاني والبديع.

وقد درس البحث آيات الافتتان في سور القرآن الكريم على أساس ترتيب السور: (يوسف، رعد، إبراهيم، الإسراء، مريم، الأنبياء، الشعراء، الرحمن، الجمعة، الشمس).

ويعد هذا البحث أول دراسة لبلاغة الافتتان في القرآن الكريم، إذ لم يسبق لباحث أو دارس قد تطرق إلى هذا الموضوع سوى شذرات في المصادر البلاغية القديمة كتحرير التحبير في صناعة الشعر والنشر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري (٦٥٤هـ) ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني (٦٨٤هـ).

أما في الشعر فقد درس الباحث عبد الواحد الدحمني بلاغة الافتتان، دراسة تحليلية في شعر زهير بن أبي سلمى.

وقد عالج البحث موضوعات الافتتان القرآني في عشرة مواضع من القرآن الكريم وكيفية الانتقال من معنى إلى معنى ومن فن إلى آخر ومن غرض إلى غرض، على مستوى النص بكامله لا في الآية الواحدة فحسب.

وكان المنهج في هذا البحث وصفياً تحليلياً قائماً على معرفة الانتقال بين المعاني والموضوعات كالمدح للمؤمنين والمتقين والذم للفاسدين والمشركين، ومن مواساة بفناء الكون كله، فالله سبحانه وتعالى وآسى جميع المخلوقات من الإنس والجن، والملائكة وسائر أصناف ما هو قابل للحياة وتمدح بالبقاء بعد فناء الموجودات، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ (الآيتان ٢٦-٢٧ الرحمن).

اما مصادر البحث ومراجعه فهي عديدة ومتنوعة منها ما ذكرناه ومنها المصادر البلاغية الحديثة والقديمة فضلاً عن كتب التفسير كالتفسير الكبير للرازي (٦٠٦هـ) والكشاف للزمخشري (٥٣٨هـ)، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣٩١هـ) وغيرها من كتب التفسير.

والله ولي التوفيق هو حسبي ونعم الوكيل

الافتنان لغة:

يفتن الرجل الكلام أي يشتق في فن بعد فن، ورجل مفنّ: يأتي بالعجائب وامرأة مفتنّة، وافتن الرجل في حديثه وفي خطبته إذا جاء بالأفانين وهو مثل أشتق، وافتن الرجل في كلامه: إذا توسع وتصرف، وأفتن أخذ في فنون من القول(١).

الافتنان اصطلاحاً:

من الفنون البلاغية التي ابتدعها المصري وقال عنه: " أن يفتن المتكلم فيأتي بفنين متفاوتين من فنون الكلام في بيتٍ واحد أو جملة واحدة مثل النسيب والحماسة والهجاء والهناء والعزاء "(٢) كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(الآية من سورة مريم) فقد جمعت هذه اللفظات التي هي بعض آية الوعد والوعيد والتبشير والتحذير وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾(سورة الرحمن) فقد جمعت هاتان الآيتان التعزية والفخر.

إذاً الافتنان هو الإتيان في الكلام الواحد بفنين مختلفين أو أكثر من فنون القول كالمدح والذم والفخر والتحدي والتهنئة والتعزية والمدح والعتاب.

هو الإتيان في الكلام الواحد بفنين مختلفين أو أكثر من فنون القول، كالمدح والهجاء والفخر والتحدي والتهنئة والتعزية والمدح والعتاب(٣).

قول المتنبي يعاتب سيف الدولة ويمدحه في قصيدة:

يا أعدلَ الناسِ إلا في مُعامَلِتي فِيكَ الخِصامُ وأنتَ الخَصمُ والحَكمُ(٤)

وقوله أيضاً:

أُعيذها نَظَراتٍ مِنكَ صَادقة أَن تَحسبَ الشحمَ فيمن شحمه ورم(٥)

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور: ٥٣٢/٢.

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري: ١١٨/١.

(٣) ينظر: كتاب البلاغة العربية، عبد الرحمن حنبكة الميداني: ١٧٥/٢.

(٤) ينظر: ديوان المتنبي: ١٥٣.

(٥) ينظر: ديوان المتنبي أيضاً الصفحة نفسها.

فقد جمع في هذا البيت بين الثناء عليه بصدق الفراسة وتحذيره من التورط في حسن الظن بالمرائين المخادعين.

نشأة الافتنان وتطور مصطلحه:

الافتنان له مفهومان في الاستعمال العربي[١]:-

الأول: المتقدم زمنياً – واسع رحب.

الثاني: وهو المتأخر – ضيق.

فالافتنان بمعنى الانتقال من نوع كلامي إلى آخر ومن غرض إلى غرض.

جاء في لسان العرب لابن منظور: " الفن: وأحد الفنون، وهي الأنواع، والفن الحال، والفن الضرب من الشيء والجمع أفنان وفنون، وهو الأفنون، يقال: رعينا فنون الثبات وأصبنا فنون الأموال "[٢].

إذن (افتن) بمعنى التصرف والانتقال من معنى إلى معنى ومن نوع إلى نوع، ومنه اشتق الافتنان.

لم يقتصر الأدباء العرب على انتهاج فن واحد من القول بل مالوا إلى الافتنان في الكلام والتنويع في أغراضه ومعانيه وأساليبه، فكانت المفاضلة بين الشعراء والبلغاء على أساس مقدرتهم على الافتنان والتصرف في أنواع القول والانتقال بين المعاني والأغراض، لأنه بسبب هذا الانتقال من معنى إلى معنى تستجد النفس نشاطها وتذهب عنها الملل.

وكان الافتنان عند العرب في الشعر وفي الخطبة والرسالة والمقامة وسواها من كلامهم[٣].

فكانت نفوس الأدباء تحب الافتنان في مذاهب الكلام وترتاح بالانتقال من غرضٍ إلى غرض ومن معنى إلى معنى ليتجدد نشاطها بتجدد الكلام.

والذوق البلاغي العربي يفضل الكلام المفتنن على الكلام المؤلف على نمط واحد من القول لسببين:

الأول: نفسية، وذلك أن الافتنان يقوم بتنشيط السامع وتطريته، والبعد به عن الملل والسأم.

---

(١) ينظر: معالم وعوالم في بلاغة النص الشعري القديم د. محمد المؤدب: ٣٥.

(٢) ١٣/٣٢٦.

(٣) ينظر: معالم وعوالم في بلاغة النص الشعري القديم: ٣٦.

الثاني: بلاغية معنوية تتأسس على النظم الذي يزيد النص الأدبي تماسكاً وانسجاماً فالقصد من الافتنان البلاغي في الكلام تنويع الأساليب والمعاني ليكون أكثر إقناعاً وتأثيراً في المتلقي ولا يكون الكلام مقتصراً على معنى واحد.

وشرط الافتنان هو التناسب بين المعاني والأغراض، فالنفس تكره الافتنان إذا لم يكن بين المعاني المنتقل بينها مناسبة وبدون المناسبة يختل نسق الكلام ويفقد النظم قيمته البلاغية ويحصل النفور ويفوت القصد والغرض من الافتنان.

ويبدو أن اهتمام العرب بالافتنان والتصرف في الكلام لكونه يؤلف بين المختلفات ويجمع بين المتباينات وينتج عنه تماسك النص وتلاحم أجزائه والتفاوت في طبقات الأدباء(١).

بلاغة الافتنان:

الافتنان في حقيقته تركيب خاضع لسيطرة النظم كالعلاقات الإسنادية وما وراء الإسنادية بين المعاني على وفق مقتضى السياق والقصد.

إن بلاغة الافتنان تؤدي إلى تحسين المعنى في قلب السامع ممزوجةً في منهجية تركيب صورة المعنى من خلال النظم.

يتجلى أثر الافتنان في جمال المعنى وإثارة الذهن وجذب الانتباه وتقوية المعنى أيضاً عن طريق التنقل بين المعاني المختلفة.

بلاغة الافتنان تجمع بين فنين مختلفين كالغزل والحماسة، والمدح والهجاء، والتعزية والتهنئة(٢).

ومن ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (١١٢ من سورة الأنبياء)، فان ظاهر اللفظ يوهم أن لفظة ﴿بِالْحَقِّ﴾ مستغنى عنها، للعلم بأن الله تعالى لا يحكم إلا بالحق فقد ثبت أنه سبحانه وتعالى موصوف بالعدل بالدليل العقلي، فعدل عن المساواة، وأتى بهذه الزيادة ليضمن الكلام ضرباً من المحاسن يسمى الافتنان، فان المقصود تعجيل ما يستحقه الكفار من العذاب، ولذلك حصل في الكلام افتنان وهو الجمع بين الأدب والهجاء، لأن من يستحق الدعاء عليه بالعقوبة ملوم(٣).

فالافتنان في القرآن الكريم انما هو بيان تعدد المعاني التي جاء بها القرآن الكريم وهي معانٍ تختلف عن المعاني المطروقة عند العرب في قصائدهم وخطبهم وسائر أنماط القول

---

(١) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني (٦٨٤هـ): ٣٨٤.

(٢) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنشر لأبي الإصبع العدواني: ١١٨/١.

(3) https://almerja.com/reading.php?idm=12689.

لديهم، فبلاغة الافتتان تبرز بجلاء إعجاز القرآن الكريم وتفرده ومغايرته للكلام العربي، لكن رغم هذه المغايرة في المعاني إلا أنه يشترك معه في سمة التعدد، هذه السمة التي تبتني عليها سمة الافتتان، فالقرآن الكريم لم يرتب هذه المعاني ترتيباً يقرن النظائر إلى بعضها كما هو الشأن في أبواب الكتب وإنما كان يفتن في الانتقال بينها حسب ما يتطلبه سياق الكلام، ووفق ما يؤدي إلى تحقيق القصد(١).

نظم الافتنان:

هو لجام الألفاظ، وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضها ببعض فتقوم له صورة في النفس ونظم الافتنان هو رعاية قوانين اللغة وقواعدها على وجه لا يكون الكلام خارجاً عنها(٢).

فالمقصود هو تماسك الكلمات والجمل ووضع كل كلمة مكانها، والقرآن الكريم أرفع شأناً من أن يعرض على القواعد بل هي تعرض عليه. ومن عادة القرآن الكريم الانتقال بين المعاني والموضوعات وهذه المعاني سامية راقية والكلمات والجمل مترابطة ومتلاحمة أشد التلاحم والتشاكل.

ونحن نبحث في نظم الافتنان القرآني في مقامين:

الأول: انسجام الجمل والكلمات وتعانقها.

الثاني: وضع كل كلمة موضعها.

إن القرآن الكريم بلغ من ترابط أجزائه، وتماسك كلماته وجمله وآياته، مبلغاً عظيماً إذ نجد بين كلمات الجملة الواحدة من التآخي والتناسق ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة متآخذة الأجزاء متعانقة الآيات. ولأجل ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(الآية ٢٨ من سورة الزمر).

(1)https://tafsir.net/resparch/54/afthan_al_qr_aan_byan_mra_at_al_qr_aan_im_hwd_al_rb_fy_bna_a_a_alkhtab

(٢) ينظر: البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ابن عيسى باطاهر: ٢٣٢.

لماذا الانتقال من موضوع لآخر في القرآن الكريم ؟

إن القرآن الكريم كتاب هداية للناس وهو كتاب الله سبحانه وتعالى وكلامه، فيه إعجاز علمي وتأريخي وفقهي. بل إن الله سبحانه وتعالى قد أنزله منجماً، كل سورة على انفراد القرآن الكريم نزل مرتين الأولى إلى اللوح المحفوظ، ثم نزله الله سبحانه وتعالى مفرقاً بحسب الوقائع والأحداث، فكان ذلك أحد أسباب إقناعهم، واقتناعهم بأن هذا القرآن هو من عند الله سبحانه وتعالى، كما أن الأجيال التالية إذا عرفت أن الآيات كانت تنزل قبل حصول تلك الأحداث المرتبطة بها، فانها سوف تصبح قادرةً على إدراك تلك الخصوصية الإعجازية التي تفيد في تأكيد اليقين للبشر جميعاً إلى يوم القيامة، ولأجل ذلك نجد لكل آية أو مجموعة آيات سبب نزول يختلف عن سبب نزول التي تليها، فاختلاف الأسباب قد يكون بسبب ذلك، وبرغم تنوع مضامين السور نجد بينها ارتباطاً وثيقاً وظاهر الدلالة على معانٍ هي بمثابة الرابط بين أجزاء تلك السور، رغم تنوع واختلاف الأحداث التي نزلت الآيات لمعالجتها، أو لتقرير مضامينها، وانتقال القرآن الكريم من موضوع إلى موضوع انما يكون بعد اتمام ما يتوخاه من إيراده للموضوع الأول، فان كان قد أهمل ذكر بعض التفاصيل، فلأنها لا تدخل في المقصود الذي يريد بيانه(١).

الافتنان وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم:

كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيناً، في الفصل والوصل والعلو والنزول، أما القرآن الكريم فمع كثرة موضوعاته التي هي في نسق واحد فانه هناك وجهٌ آخر يدل على إعجازه وهو الافتنان وما فيه من جودة وأحكام الرصف، ذلك أن رأي بليغ حين يتكلم في موضوع ويريد الانتقال إلى غيره نشعر أن هناك عجزاً في الانتقال فمن تكلم في الشعر عن الغزل مثلاً يصعب عليه الانتقال إلى المدح، وقليل هم الذين لا يشعروننا بالنقلة والتكلف، ولهذا عيب على البحتري مع جودة شعره ورقة طبعه عدم تجويده في الانتقال من النسيب إلى المديح.

ولكن القرآن الكريم يجمع بين المختلف فيجعله مؤتلفاً وينقلنا من الموضوعات الواحد إلى الآخر دون الشعور بهذا الانتقال.

فإذا كان الافتنان هو الانتقال بين المعاني، فالمعاني التي جاء بها القرآن الكريم لا يستطيع أحد من الناس الإتيان بها ونقصد بالمعاني الموضوعات التي عرض لها القرآن الكريم وهي الموضوعات الفكرية سواء كانت تلك الموضوعات تشريعية أم عقدية، وسواء كانت حجاجاً ورد مشبهاً أم حديثاً عن مبدأ خلقي وقضية تربوية وهذه المعاني القرآنية مبتكرة، لأن

---

(١) ينظر: أسباب النزول للواحدي / ٢٣٣ وما بعدها وتأويل مشكل القرآن الكريم، لابن قتيبة، تحقيق: أحمد سيد صقر: ٨٠.

كثيراً من موضوعات القرآن الكريم كانت بكراً لم تكن مما عرفه الناس من قبل، لا في الكتب السماوية ولا في نظريات الفلاسفة، ولا في التشريعات القانونية[١] واختيار اللفظ لمعنى متداول معروف بين الناس أمر سهل ميسر، لكن الأمر الذي فيه صعوبة ودقة وعسر على كثير من الناس هو اختيار الألفاظ لمعانٍ جديدة غير معروفة ولا مألوفة، وكذلك كان القرآن الكريم فمعانيه جديدة اختيرت لها ألفاظ بارعة[٢].

فالقرآن الكريم بديع النظم عجيب التأليف متناهٍ في البلاغة، والشكل الذي ركبت فيه كلماته وجهٌ من وجوه الإعجاز.

الافتنان في حسن التخلص:

قال ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ): " إن حسن التخلص يشكل افتناناً من موضوع إلى آخر وانتقالاً من معنى إلى معانٍ متعددة، لأن الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل ثم تتمادى فيما خرجت إليه "[٣].

أن الانتقال من موضوع إلى آخر والافتنان في النظم القرآني والمعاني من أجل ضمان حسن التخلص وتحقيق جمالية النص.

ومن الأمثلة القرآنية لهذه الظاهرة البلاغية ما جاء في سورة يوسف (عليه السلام)، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ (٣٦-٣٧ من سورة يوسف)، نجد أن كلاً منهما سأل يوسف (عليه السلام) عن رؤيا رآها في المنام، ولكنه (عليه السلام) انتقل إلى معنى آخر وهو الحديث عن الطعام الذي يأتيهما في السجن، ومن ثمَّ تحدث عن فضل الله سبحانه وتعالى عليه أن وفقه لترك ملة الكفار، والإيمان بالله الواحد الأحد فما السر في هذا الافتنان ؟

لما كان سؤالهما عن الرؤيا وتعبيرها وهم علم قائم على الظن والتخمين بين لهما فضل الله سبحانه وتعالى عليه، وأنه قادر على إخبارهما بما يرزقانه من طعام قبل أن يأتيهما، ثم

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن الكريم للباقلاني / ١٣، وتكوين البلاغة، قراءة جديدة ومنهج مقترح، علي الفرج: ٧٨.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن الكريم للباقلاني: ٤٣.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٤٤٣.

خلص من ذلك إلى أمر أهم وهو دعوتهما للدين القويم، وإتباع آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم السلام)، وبهذا انتقل القرآن الكريم من الحديث عن الرؤيا والطعام وهو مقصد دنيوي إلى الحديث عن التوحيد والإيمان وهو مقصد أخروي(١).

مدح أولي الألباب ذمَّ المفسدين:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ (٢٠-٢٥ من سورة الرعد).

أشار ابن أبي الإصبع المصري (٦٥٤هـ). إلى الافتنان وهو أن يفتتن المتكلم فيأتي بفنين متضادين، من فنون الكلام في بيتٍ واحد أو في نصٍ واحد مثل النسيب والحماسة، والمديح والهجاء، والهناء والعزاء(٢).

حصل الافتنان في الآيات الكريمة بمدح أولي الألباب وهجاء المفسدين إذ مدح الله سبحانه وتعالى أولي الألباب من خلال ذكر صفاتهم الحميدة وأول ما أشار إليه وفاؤهم بالعهد وعدم نقضهم له ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (٢٠ من سورة الرعد).

والصفة الثانية من صفات أولي الألباب هي: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ (٢١ من سورة الرعد).

والصفة الثالثة والرابعة من سيرة أولي الألباب هي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢١ من سورة الرعد).

والصفة الخامسة من صفات أولي الألباب الاستقامة في مقابل جميع المشكلات التي يواجهها الإنسان في مسيرة الطاعة وترك المعصية، وجهاد الأعداء ومحاربة الظلم والفساد

(١) ينظر: بلاغة الافتنان، دراسة تحليلية في شعر زهير بن أبي سلمى، عبد الواحد الأحمني: ١٠.

(٢) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ١١٩/١.

والصبر في مرضاة الخالق ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ (٢٢ من سورة الرعد).

والصفة السادسة من صفاتهم هي: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ (٢٢ من سورة الرعد).

ثم بين الصفة السابعة لأولي الألباب بمدحهم: ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ (٢٢ من سورة الرعد).

والصفة الثامنة والأخيرة في مدح أولي الألباب هي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ (٢٢ من سورة الرعد).

وبعد ما ذكر القرآن الكريم مدح أولي الألباب بصفات ثمانية أشار في نهاية الآيات إلى عاقبة أمرهم بالمدح والثناء بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٢ من سورة الرعد).

والآية الأخرى توضح هذه العاقبة: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ (٢٣ من سورة الرعد).

والشيء الذي يكمل المدح وهذه النعم الكبيرة واللا متناهية: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣ من سورة الرعد) ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤ من سورة الرعد).

فهذه السلامة جاءت بعدما صبرتم على الشدائد وتحملتم المسؤوليات الجسام والمصائب ولكم هنا كامل الطمأنينة والأمان، فلا حرب ولا نزاع وكل شيء يبتسم لكم.

وبعدما مدحت الآيات السابقة أولي الألباب بذكر صفاتهم الحميدة انتقلت الآيات الكريمة إلى ذم المفسدين الذين فقدوا حظهم من العلم والمعرفة، إذ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٢٥ من سورة الرعد).

ويتلخص ذمهم في الجمل الثلاث الآتية:-

١- نقض العهود الإلهية: وتشمل المواثيق الفطرية والعقلية والتشريعية.

٢- قطع الصلات: وتشمل الصلة مع الله والرسل والناس ومع أنفسهم.

٣- الإفساد في الأرض: وهو نتيجة حتمية لنقض العهود وقطع الصلات.

ولفظة ﴿الدَّارِ﴾ جاءت بصيغة مطلقة في الآيتين: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٢ من سورة الرعد).

﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٢٥ من سورة الرعد). لتكشف بلاغة الافتنان أن الدار الحقيقية للإنسان هي الدار التي ينتقل إليها وهي دار الآخرة وأيُّ دارٍ ما عدا دار الآخرة فانية وزائلة.

الافتنان في المثل القرآني:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ (٢٤-٢٦ من سورة إبراهيم).

تتميز بلاغة الافتنان في القرآن الكريم بخصائص فنية وسماتٍ بلاغية كثيرة جمعها القرآن الكريم في جميع نظمها الرائع فالإيجاز البليغ وإصابة المعنى وحسن التشبيه نجدها كلها في المثل القرآني وبلاغة الافتنان في المثل القرآني صورت الخبيث والطيب فأفادت هذه الصورة التذكير والوعظ والحث والزجر وتقريب المقصود للعقل وتصويره بصورة المحسوس لتثبت في الأذهان(١).

وصورت حال الإيمان والكفر، الطيب والخبيث من خلال مثالين صريحين.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (٢٧ من سورة إبراهيم).

لأن إيمانهم كان كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. ثم تشير الآية الكريمة إلى النقطة المقابلة لهم.

﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧ من سورة إبراهيم).

اعتمد النظم القرآني سمة الافتنان والتوسع في المعاني من خلال الانتقال من معاني الكلمة الطيبة إلى معاني الكلمة الخبيثة. وهذا النظم وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

إن الافتنان مهما تعدد معانيه وفنونه في القرآن الكريم فهو كلام واحد، يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره فالقرآن معجز بنظمه.

---

(١) ينظر: معجم الأمثال في القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م: ٢٠٩.

الافتنان في الإسراء والمعراج:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾ (١-٢ من سورة الإسراء).

فما السر في الافتتان من الحديث عن الإسراء إلى الحديث عن موسى (عليه السلام) وبني إسرائيل ؟

قال الزركشي (٧٩٤هـ) في كتابه " البرهان في علوم القرآن ": " ووجه اتصالها بما قبلها أنَّ التقدير: أطلعناه على الغيب عياناً وأخبرناه بوقائع من سلف بياناً لتقوم إخباره على معجزته برهاناً "[(١)].

والمراد أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أخبر قريشاً بحادثة الإسراء والمعراج عجبوا من كلامه واستعظموا ذلك، فناسب ذلك أن ينتقل الكلام إلى الحديث عن بني إسرائيل الذين كذبوا نبي الله موسى (عليه السلام) رغم ما جاء به من الآيات والمعجزات الحسية التي تدل على صدق نبوته.

وهذا الانتقال ملائم لما سبقه من الكلام عن الإسراء والمعراج، لأن تصديق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في خبر السماء يأتيه غدوةً أو روحةً أعجب من قصة الإسراء والمعراج.

بلاغة الافتنان في كتاب الله عز وجل هي التي أعجزت البلغاء وأسكتت الشعراء وأخضعت لجمالها الأدباء: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾ (١ من سورة الكهف).

وعدٌ ووعيد:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (٧٢ من سورة مريم).

الافتنان في الآية الكريمة هو الانتقال من معنى النجاة من النار إلى معنى البقاء في النار، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (١٨٥ من سورة آل عمران).

---

(١) ٣٢٢.

فالافتنان حصل بالجمع بين وعد المتقين بالنجاة وإخزاء للظالمين بالقعود في دار العذاب.

والآية الكريمة: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (٧١ من سورة مريم) وهي الآية التي تسبق آية الافتنان ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (٧٢ من سورة مريم) فجميع الناس سيدخلون جهنم بدون استثناء لأنه أمر حتمي[١]. ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (٧٢ من سورة مريم) فنتركهم فيها جالسين على الركب من الضعف والذل وهناك بحث مفصل بين المفسرين في تفسير هاتين الآيتين حول المقصود من " الورود " في جملة ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، فيرى بعض المفسرين[٢]. أن " الورود " هنا بمعنى الاقتراب والإشراف، أي أن جميع الناس بدون استثناء المحسن منهم والمسيء، يأتون إلى جانب جهنم للحساب، أو لمشاهدة مصير المسيئين، ثم ينجي الله المتقين، ويدع الظالمين فيها.

الجمع بين الأدب والذم:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (١١٢ من سورة الأنبياء).

ذكرنا سابقاً أن الافتنان هو الجمع بين فنين مختلفين كالغزل والحماسة في الشعر، والمدح والهجاء والتعزية والتهنئة ومن ذلك في القرآن الكريم أيضاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (١١٢ من سورة الأنبياء)، فإن ظاهر اللفظ يوهم أن لفظة ﴿بِالْحَقِّ﴾ مستغنى عنها، للعلم بأن الله سبحانه وتعالى لا يحكم إلا بالحق فإنه قد ثبت أنه موصوف بالعدل بالدليل العقلي فعدل عن المساواة وأتى بهذه الزيادة ليضمن الكلام ضرباً من المحاسن يسمى الافتنان فإن المقصود تعجيل ما يستحقه الكفار من العذاب ولذلك حصل في الكلام افتنان وهو الجمع بين الأدب والذم لأن من يستحق الدعاء عليه بالعقوبة ملوم[٣].

---

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي: ٤٤٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤٤٨.

(٣) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، لابن أبي الإصبع المصري: ٥٨٨.

وجاءت كلمة ﴿وَرَبُّنَا﴾ لتشير إلى أننا جميعاً مربوبون ومخلوقون، وهو ربنا وخالقنا جميعاً وبلاغة لفظة ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ تؤكد الرحمة العامة ويعيد إلى أسماع هؤلاء المعاندين للحق أن الرحمة الإلهية قد عمت كل وجودنا، فلماذا لا تفكروا لحظةً في خالق كل هذه النعمة والرحمة ؟

وجاءت بلاغة جملة: ﴿الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ لتحذر هؤلاء بأن لا تظنوا أنا وحيدون أمام جمعكم وكثرته، ولا تتصوروا أن كل اتهاماتكم وأكاذيبكم سواء كانت على ذات الله المقدسة، أو علينا، ستبقى بدون جواب وجزاء كلا مطلقاً، فانه سبحانه وتعالى سندنا ومعتمدنا جميعاً، وهو قادر على أن يدافع عن عباده المؤمنين أمام كل أشكال الكذب والافتراء والاتهام(١).

الذم والمدح:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾(٢٢٤-٢٢٧ من سورة الشعراء). نظم القرآن الكريم يعتمد سمة الافتنان والتوسع في المعاني ولأن المتلقي يأنس للانتقال من حالٍ إلى حال ومن معنى إلى آخر.

تتجلى بلاغة الافتنان في الآيات الكريمة أعلاه في تقسيم الشعراء على قسمين فالقسم الأول نرى أن القرآن الكريم يذمهم ويرفضهم وهم شعراء المشركين إذ كانوا يقولون نحن نقول مثلما قال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقالوا الشعر واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويروون عنهم حين يهجون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه وصار الأغلب عليهم لأن الغالب عليهم الفسق فان الشاعر يصدر كلامه بالتشبيب ثم يمدح للصلة ويهجو على حمية الجاهلية فيدعوه ذلك إلى الكذب ووصف الإنسان بما ليس فيه من الفضائل والرذائل.

وتتجلى بلاغة الافتنان أيضاً في مدح القرآن الكريم للشعراء المؤمنين الذين مدحوا النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وردوا هجاء من هجاه ولم يشغلهم الشعر عن ذكر الله

(١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم، الطبرسي: ٣٦٨/٣.

سبحانه وتعالى ولم يجعلوا الشعر همهم. مثل: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة.

وبهذا تتضح لنا بلاغة الافتنان في الانتقال والتحول من غرض الهجاء إلى غرض المدح وجاء الذم القرآني بوصفهم بثلاث علامات:

الأولى: أنهم يتبعهم الغاوون الضالون ويفرون من الواقع ويلجأون إلى الخيال.

والثانية: أنهم رجال لا هدف لهم ومتقلبون فكرياً، وواقعون تحت تأثير العواطف.

والثالثة: أنهم يقولون ما لا يفعلون وحتى في المجال الواقعي لا يطبقون كلامهم على أنفسهم.

وجاء المدح القرآني للشعراء المؤمنين بأربع صفات، وهي: الإيمان والعمل الصالح، وذكر الله كثيراً، والانتصار للحق من بعدما ظلموا(١).

الفخر والتعزية:

جاء الافتنان في سورة الرحمن بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ (٢٦-٢٧ من سورة الرحمن)، إذ أن الافتنان كما ذكرنا سابقاً عند البلغاء هو الإتيان بكلام يحوي فنين مختلفين كالجمع بين الفخر والتعزية كما في الآية الكريمة، فانه سبحانه وتعالى ذكر جميع المخلوقات من الإنس والجن والملائكة وسائر أصناف ما هو قابل للحياة بالفناء وأثنى على ذاته سبحانه بالبقاء بعد فناء الموجودات في عشرة ألفاظ مع وصفه ذاته بعد انفراده بالبقاء بالجلال والإكرام سبحانه وتعالى.

فالافتنان في الآية الكريمة فيه تحذير إلهي للإنسان، بأن هذه الدنيا ليست المستقر، فالحذر من التعلق بها، إن هذا التنبيه والتذكير بالرحيل عن هذه الدنيا هو نعمة عظيمة ومحصل الافتنان أن حقيقة هذا الفناء الرجوع إلى الله بالانتقال من الدنيا كما تفسره آيات كثيرة في كلامه سبحانه وتعالى وليس هو الفناء المطلق(٢).

الافتنان في التشبيه:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٥ من سورة الجمعة).

---

(١) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم: ٣٦٨/٣.

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري: ٧٨١٢.

إن بلاغة الافتنان ترجع إلى النظم والنظم هو الوجه العام أو المرآة التي تعكس وجوه البيان والمعاني والبديع[١]. والتصوير القرآني لون من ألوان النظم لا يخرج عنه لأنه لا يستقيم بدونه ولا يقبل أن يتم رسم مشهد من مشاهد القرآن المتنوعة إلا في إطار منظوم.

نظر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) إلى البلاغة على أنها علم واحد أساسه النظم الذي تتفرع منه مسائل المعاني والبيان والبديع ومن هذه المعاني تتكون الصور كالتشبيه والمجاز والكتابة وغيرها[٢].

فالافتنان في قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥ من سورة الجمعة). حصل بالشبه المنتزع من أحوال الحمار وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم ومستودع ثمر العقول ثم لا يحس بما فيها ولا يشعر بمضمونها ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء ولا من الدلالة عليه بسبيل فليس له ما يحمل حظ سوى إنه يثقل عليه ويكد جنبيه فهو كما ترى مقتضى أمور مجموعة ونتيجة لأشياء ألفت وقرن بعضها إلى بعض.

بيان ذلك إنه احتيج أن يراعى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهو الأسفار التي فيها أمارات تدل على العلوم وإن يثلث ذلك بحمل الحمار ما فيها حتى يحصل الشبه المقصود ثم إنه لا يحصل من كل واحد من هذه الأمور على الانفراد ولا يتصور أن يقال أنه تشبيه بعد تشبيه من غير أن يقف الأول على الثاني[٣].

والشبه لا يتعلق بالحمل حتى يكون من الحمار ثم لا يتعلق أيضاً بحمل الحمار حتى يكون المحمول الأسفار ثم لا يتعلق بهذا كله حتى يقترن به جهل الحمار بالأسفار المحمولة على ظهره والنتيجة المطلوبة الذم بالشقاء في شيء يتعلق به غرض جلل وفائدة[٤].

الافتنان في القسم القرآني:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا

(١) ينظر: فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، فتحي أحمد عامر: ١١٢.
(٢) ينظر: النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن إسماعيل عبد الرزاق: ٥١.
(٣) ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصغير: ١٨٣.
(٤) ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني: ١٨٣.

سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ (١-١٠ من سورة الشمس).

أكبر عدد من أقسام القرآن تضمنته هذه الآيات الكريمة من سورة الشمس المباركة، والافتتان الحاصل في هذه الآيات في الواقع هو افتتان تهذيب النفس، وتطهير القلوب من الأدران ومعاني الافتنان يدور حول هذا الهدف، إذ جاء القسم بأحد عشر مظهراً من مظاهر الخليقة من أجل التأكيد على أن فلاح الإنسان يتوقف على تزكية نفسه، والآيات فيها من القسم ما لم يجتمع في سورةٍ أخرى.

قال الطبرسي (٥٤٨هـ): ﴿وَالشَّمْسِ﴾ هذه الواو الأولى هي التي للقسم وسائر الواوات فيما بعدها عطف عليها إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ وهو جواب القسم والتقدير لقد أفلح[1]. وقال ابن عاشور (١٣٩٣هـ): والواوات الواقعة بعد الفواصل واوات قسم[2]. وكل من الشمس والقمر والسماء والأرض ونفس الإنسان، من أعظم مخلوقات الله ذاتاً ومعنى الدالة على بديع حكمته وقوي قدرته وكذلك كل من الضحى وتلو القمر والشمس والنهار والليل من أدق النظام الذي جعله الله سبحانه وتعالى.

والانتقال بين معاني القسم القرآني جاء للتأكيد ولزيادة الإنسان المؤمن يقيناً فضلاً عن جمالية التعبير القرآني ودقة التصوير وقوة التأثير إذ تؤثر في عقل القارئ وقلبه في آنٍ واحد معاً لأن القرآن الكريم يخاطبهما معاً.

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم: ٤٥١/٣.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٣٨٠/٣٠.

الخاتمة

- عدَّ بلاغة الافتتان من مفاهيم النظم القرآني الذي اعتمد على الانتقال بين المعاني وتنويع الموضوعات.
- الانتقال بين المعاني والموضوعات لا يُخلُّ بانسجام النص القرآني ووحدته وانتظامه.
- لا يفهم المتلقي أساليب القرآن الكريم ومعرفة إعجازه إلا بمعرفة كلام العرب وبلاغتهم وسننهم وعاداتهم واعرافهم في التخاطب.
- البلاغة القرآنية تميل إلى الافتتان في المعاني والأغراض والتأليف بين المختلفات وفيها تتجلى البراعة والاقتدار البلاغي.
- الافتتان درس لدى العلماء بالبلاغة والنقد تحت عناوين وأبحاث متفرقة منها: التخلص وحسن الخروج والاستطراد.
- حضور الافتتان في القرآن الكريم في كون القرآن لا يتناول نوعاً واحداً من أنواع المعاني، لينتقل إلى التالي بعد الفراغ من الأول، بل ينتقل من نوعٍ إلى آخر: فيبدأ بالأحكام، ثم الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، ثم كبرياء الله وجلاله وكماله وعظمته ثم العودة مرةً أخرى إلى الأحكام لتؤدي وظيفتها النفسية في التأثير في المتلقي.
- توصل البحث إلى نوع آخر من أنواع الافتتان في القرآن الكريم، وهو الانتقال من دلائل التوحيد إلى القصص كما في الآيتين (٣٦-٣٧ من سورة يوسف).
- وجد البحث أن الافتتان يبرز بجلاء إعجاز القرآن الكريم وتفرده ومغايرته للكلام العربي لكن رغم هذه المغايرة في المعاني إلا أنه يشترك معه في سمة التعدد هذه السمة التي تنبني عليها سمة الافتتان، فالقرآن الكريم لم يرتب هذه المعاني ترتيباً يقرن النظائر إلى بعضها كما هو الشأن في أبواب الكتب وإنما كان يفتن في الانتقال بينها حسب ما يتطلبه سياق الكلام ووفق ما يؤدي إلى تحقيق الغرض والقصد.

ثبت المصادر

أولاً: الكتب

- أسباب نزول القرآن الكريم، أبو الحسن علي الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- إعجاز القرآن الكريم، أبو بكر محمد بن طيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط٣ (د.ت).
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
- البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن إسماعيل عبد الرزاق، دار الطباعة المحمدية، القاهرة – مصر، ط١، ١٩٨٣م.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، قسم البلاغة العربية، القاهرة، ٢٠١٨م.
- البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ابن عيسى باطاهر، دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن الكريم، ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق: حفني محمد شرف، القاهرة – مصر، ط١،١٩٨٣م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٩٧٢م)، الدار التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ط١، ١٩٧٣م.
- تكوين البلاغة، قراءة جديدة ومنهج مقترح، علي الفرج، دار المصطفى لأحياء التراث، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٧٩م.
- ديوان المتنبي، مطبعة دار بيروت، المكتبة الوقفية للكتب المصورة، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.
- الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد – العراق، ط١، ١٩٨١م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (ت ١٩٧٢م)، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط٤، ١٩٧٢م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م.

- فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، فتحي أحمد عامر، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة – مصر، ط١، ١٩٧٥م.
- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار الحديث، القاهرة – مصر، ط١، ٢٠٠٢م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن الكريم، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، (د.ت).
- معالم وعوالم في بلاغة النص الشعري القديم، محمد الأمين المؤدب، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٤م.
- معجم الأمثال في القرآن الكريم، سميح عاطف الزين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط٢، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط١، ١٩٨٦م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بلخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط٣، ٢٠٠٨م.

ثانياً: البحوث المنشورة في الدوريات

- بلاغة الافتنان، دراسة تحليلية في شعر زهير بن أبي سلمى، عبد الواحد الدحمني، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد ٤٧، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

ثالثاً: البحوث المنشورة في الانترنيت

- https://almerja.com/reading.php?idm=12689.
- https://tafsir.net/resparch/54/afthan_al_qr_aan_byan_mra_at_al_qr_aan-im-hwd_al_rbfy_bna_a-a_alkhtab.